

## Rhetorical Reasoning in al-Sakkākī's Miftāḥ al-'Ulūm: A Pragmatic Approach to Discourse

Dr. Nor Elhouda Hasni <sup>1</sup>, Pr. Badis lehouimel <sup>2</sup>

<sup>1</sup>: University Mohamed Khider – Biskra, Algeria, [Hasninour214@gmail.com](mailto:Hasninour214@gmail.com)

<sup>2</sup>: Linguistics and Arabic Language Laboratory, University Mohamed Khider – Biskra, Algeria, [b.lehouimel@univ-biskra.dz](mailto:b.lehouimel@univ-biskra.dz)

Received: 02 .05 .2026

Accepted: 22 .05 .2026

Published: 03. 06 .2026

### Abstract:

Inference (Al-Istidlal) constitutes a major issue that Arab scholars have diligently addressed across many of their works. They frequently approached it, both explicitly and implicitly, while tackling various linguistic and jurisprudential issues within the Arabic linguistic sciences and the fundamentals of Islamic jurisprudence (Usul al-Fiqh). Arabic rhetoric (Balagha) is one of the most prominent sciences where interest in inference is deeply manifested and its significance is thoroughly examined, as it forms the bedrock for the issues of both the science of meanings (Ilm al-Ma'ani) and the science of eloquence (Ilm al-Bayan). Al-Sakkaki stands out as one of the most prominent scholars of Arabic rhetoric who dedicated an independent section to inference, demonstrating its importance and necessity in explaining how meaning is produced across various rhetorical chapters. From this perspective, this linguistic approach adopts a descriptive pragmatic method, aiming to define inference and investigate how Al-Sakkaki employed it. It further clarifies the connection between rhetorical inference and the sciences of Ma'ani and Bayan as conceptualized by Al-Sakkaki. All of this is explored through the following central problem:

What is inference?

How did Al-Sakkaki employ it in Miftah al-Ulum (The Key to the Sciences)?

What is its relationship with the sciences of Ma'ani and Bayan?

**Keywords:** Speech Acts – Context – Inference – Reasoning – Arabic Rhetoric.

## الاستدلال البلاغي في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي: مقارنة تداولية للخطاب

د. نور الهدى حسني <sup>1</sup>، أ.د. باديس لهويميل <sup>2</sup>

<sup>1</sup>: جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، [Hasninour214@gmail.com](mailto:Hasninour214@gmail.com)

<sup>2</sup>: مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، [b.lehouimel@univ-biskra.dz](mailto:b.lehouimel@univ-biskra.dz)

### ملخص

يشكل الاستدلال قضية مهمة عُنِي بها علماء العرب في كثير من مؤلفاتهم، فتراهم يتعرّضون لها تصريحاً وتلميحا في معالجتهم لقضايا لغوية وفقهية مختلفة، ضمن علوم العربية وأصول فقهاها، والبلاغة العربية أحد أهم العلوم التي نجد فيها اهتماما بالاستدلال ومعالجة لأهميته، إذ تقوم عليه قضايا علمي المعاني والبيان،

ويعدّ السكاكي أحد أبرز علماء البلاغة العربية الذين خصصوا له مبحثًا مستقلًا وبينوا أهميته وضرورته في تفسير كيفية إنتاج المعنى في أبواب بلاغية مختلفة.

من هنا تنطلق هذه المقاربة اللسانية بمنهج وصفي تداولي هادفة لتعريف الاستدلال وباحثة في كيفية توظيف السكاكي له، مع توضيح صلة الاستدلال البلاغي بعلمي المعاني والبيان كما تصوّرها السكاكي. كل ذلك من خلال الإشكالية الآتية:

**ما الاستدلال؟ وكيف وظفه السكاكي في مفتاح العلوم وما صلته بعلمي المعاني والبيان؟**

**الكلمات المفتاحية:** الأفعال الكلامية- السياق- الاستنتاج- الاستدلال- البلاغة العربية- السكاكي.

**تمهيد:**

يعد الاستدلال البلاغي مبحثًا مهما في التراث البلاغي العربي من المباحث المهمة التي عني بها القدماء العرب لغويين وبلاغيين وأصوليين، إن تصريحًا وإن تلميحًا، نظرًا لما يسهم به في الكشف عن المعنى وتوضيح الدلالة، وقد ارتبط في البلاغة العربية بأصول البيان حيث يسهم في تحديد المجاز، والاستعارة، والكناية، ويبين كيفية الانتقال من الدلالات الوضعية إلى الدلالات العقلية.

بيد أن الاستدلال لم يكن يخصّص له مبحث خاص في كتب البلاغيين وإنما يتم الاستناد عليه ضمناً للوصول إلى المعنى، حتى جاء السكاكي (ت 626هـ) ووضع لعلم الاستدلال قسماً خاصاً به وجعله تكملة لعلم المعاني وتاماً له؛ فرأى أنّ «تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال»<sup>(1)</sup> إذ علم المعاني يدرس المقامات المختلفة للكلام، وهذا الكلام لا يخرج عن كونه عادياً في علم النحو، أو بليغاً في علم المعاني والبيان أو استدلالياً في علم الاستدلال، «ولما كان الاستدلال كلاماً ولكل كلام مقام، فللكلام الاستدلال مقام، ومقام الاستدلال هو جزء من مقامات الكلام، أي أنه لا يختلف نظرياً عن مقام التعزية، أو مقام المدح، أو مقام الإخبار»<sup>(2)</sup> وهذا ما يذهب إليه السكاكي حيث يرى أن مقام الاستدلال جزء واحد من جملة المقامات وشعبة فردة من دوحتها.<sup>(3)</sup>

ولعلّ هذا التوظيف لمبحث الاستدلال في علمي المعاني والبيان هو السبب في جلب الكثير من الويلات على صاحب المفتاح، واتّهم إثر ذلك بإدخال الأعشاب الضارة لحقل البلاغة متأثراً بالمنطق الأرسطي فهل تأثر السكاكي حقاً بالمنطق الأرسطي اليوناني؟ ثمّ ما العلاقة التي تربط علم الاستدلال بالبلاغة حتّى جعله تكملة لها؟

الواقع أنّ بحث علاقة المنطق الأرسطي بما جاء به السكاكي قضية شائكة وغير محدّدة المعالم؛ حيث اختلف فيها كثير من الباحثين العرب بين مؤكّد تأثر السكاكي بالمنطق اليوناني مستنداً إلى توظيفه مصطلحات منطقيّة نحو المستعار والمستعار له في الاستعارة واعتماده على أحكام عقليّة، ولما أولاه من اهتمام بالحدود والتقسيمات، وبين رافض لفكرة التآثر ومثبت لعكسها؛ لكون السكاكي دائماً يتحاشى في

تعريفاته وتحديداته لمباحث البلاغة ما أتى به المناطقة، ويوظف عباراته ومصطلحاته كما هي عند علماء البلاغة الذين يفهم دائما بالأصحاب، والعبارات الدالة على ذلك كثيرة نجدها عند السكاكي في قوله: «على ما تسمعه من الأصحاب لا مني»<sup>(4)</sup>، وقوله: «على رأي الأصحاب دون رأينا»<sup>(5)</sup>، وقوله: «تحدّ الحقيقة والمجاز عند أصحابنا في هذا النوع بغير ما ذكرت»<sup>(6)</sup>، وقوله: «الحدّ عندنا دون جماعة من ذوي التحصيل، عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه»<sup>(7)</sup>

فما يقصده السكاكي بقوله "رأي الأصحاب"، هو علماء البلاغة الذين يستند إليهم في عرض مادة كتابه وبـ"جماعة من ذوي التحصيل" علماء المنطق، الذين استنتاهم في عرض مباحثه وإذا أراد السكاكي مخالفة رأي أصحابه من البلاغيين فإنه يصدر أحكامه ومواقفه بعقلية البلاغي لا المنطقي البحث.

إنّ الذي يبدو من خلال ما ورد في مفتاح العلوم، وفي ظلّ هذا الاختلاف بين دارسيه في توصيفهم لفكر السكاكي وتأويله، أنّ قضية التأثير بالفكر اليوناني واضحة وسارية في جلّ التراث العربي بعد القرن الرابع الهجري بنحوه وبلاغته وأصوله، إلّا أنّ هذا التأثير كان بدرجات متفاوتة، أمّا السكاكي في مفتاحه، فنجدّه يوظف صيغا ومصطلحات منطقيّة تؤكد تأثيره بالمنطق الأرسطي، لكنّ هذا التوظيف لم يكن عبثا وإنّما لمقاصد كان يروم تحقيقها منها: محاولة إكساب البلاغة علميّة في مفاهيمها وطرق إجرائها، ذلك أنّه: «من شروط بناء العلوم في المنظومة القديمة أن يكون مستجيبا لمقتضيات المنوال المنطقي الذي كان يمدّ العلوم بأسسها العلميّة»<sup>(8)</sup> وهو ما يساعد السكاكي في وضع الصيغة النهائيّة للبلاغة، بما يضمن تحديدها وتسهيل تعلّمها للناشئة في عصره الذي عرف ضعفا وركودا.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ السكاكي لم يعتمد في توظيفه لمبحث الحدّ والاستدلال داخل كتاب موضوعه علم الأدب، المصطلحات المنطقيّة كما هي عليه في المنطق اليوناني، وإنّما كان دائما يحاول أن يجري مصطلحاته بمنظور بلاغي خاص، يحفظ لها خصوصيّة البلاغية، وبالتالي كان يتنافى استعمال مصطلحاته بدلالاتها المنطقيّة أو الكلامية أو الفلسفيّة أو الأصوليّة، ويفضّل استخدامها بحسب ما هي جارية عليه في مجال الدرس البلاغي عند من سبقه من البلاغيين أو يضع لها تعريفا بعقليته البلاغية لا المنطقيّة.<sup>(9)</sup>

فالسكاكي إذن كان يراعي خصوصية المجال التداولي لمصطلحاته بخاصة البلاغية منها فيعرض تحديدها عنده أو عند علماء البلاغة قبله مفرقا بين رأي البلاغي و رأي غيره من المناطقة نجد ذلك ساريا عنده حتى في مبحث الحد والاستدلال نفسه يقول في تعريف الحدّ: «الحدّ عندنا دون جماعة من ذوي التحصيل عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه أو بلوازمه أو بما يتركّب منها تعريفا جامعا مانعا»<sup>(10)</sup> نلاحظ كيف أنّه يلجّ على مراعاة خصوصيّة المجال التداولي لمصطلحاته في علم البلاغة، فبالرغم من كون الحدّ من معطيات علم المنطق إلّا أنّ السكاكي يحاول إعطاه صيغة بلاغية فيتناوله بحسب توظيفه من طرف علماء البلاغة، وهذا "الإلاح من لدن السكاكي على خصوصيّة المجال التداولي للمصطلحات في علم

البلاغة ينم عن إدراكه العميق لخطورة المعضلة الاصطلاحية وضرورة التّحقيق في دلالة مكّونات الخطاب الواصف للعمل البلاغي سواء في بعده النّظري أو في جوانبه التّطبيقية.

فالمظاهر التّداولية في مفتاح العلوم لا تقتصر على تحليلات السّكاكي وتوصيفاته لمباحث المفتاح فقط، وإنّما تتجسّد كذلك في آليات توظيفه لمصطلحاته بحسب مجالها التّداولي فتكون نحوية في علم النّحو وذات صبغة بلاغية في علم البلاغة، فيحافظ بذلك على خصوصية استعمال المصطلحات في مجالها الحيوي. ولعلّ هذا بعينه ما أشار إليه الباحث "محمّد عابد الجابري" حينما أكّد أنّ السّكاكي نحا في عرضه لمسائل الحد والاستدلال منحى بيانيا يختلف عن منحى المناطقة، ودليل ذلك أنّه عزّف الحدّ تعريفا بلاغيا وميّزه عن تعريف المناطقة (جماعة من ذوي التّحصيل)، هذا من جهة ومن جهة أخرى رأى الجابري أنّ لغة السّكاكي في عرض مسائل الحد والاستدلال تختلف عن لغة المناطقة «إنه يتجنّب المصطلحات المنطقية بما في ذلك مصطلح القياس الذي يتحدّث عنه غالبا باسم: الاستدلال، ويستعمل مكانها المصطلحات النّحوية البيانية ف"القضية" يعبر عنها ب"الجملة"، والموضوع يعبر عنه ب"المبتدأ"، و"المحمول" بالخبر... الخ، أمّا الأمثلة فهي نحوية في الغالب.»<sup>(11)</sup>

كما يرى الباحث أنّ السّكاكي في حديثه عن مسائل الاستدلال ركّز على فكرة "اللّزوم" حيث لا يرى في الاستدلال «أنّه مقدمات ونتائج، بل على أنّه لازم وملزوم.»<sup>(12)</sup>، وهي قضية مهمّة ذات أبعاد حجاجية في البرهنة والاستدلال.

أ- علاقة الاستدلال بعلم المعاني: رأى السّكاكي أنّ الاستدلال جزء مكملّ لعلم المعاني والبيان فقال: «وإذ قد تحقّقت أنّ علم المعاني و البيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام و معرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما هي به قوة ذكائك وعندك علم أنّ مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها و شعبة فردة من دوحتها علمت أنّ تتبّع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصّها ممّا يلزم صاحب علم المعاني و البيان.»<sup>(13)</sup> حيث لا يكتمل مشروع علم الأدب في المفتاح، إلّا بجعل علم الاستدلال مكملًا للقسم الثّالث منه، فبالنسبة لعلم المعاني رأى السّكاكي أنّ تتبّع خواص تراكيب الكلام لا تكتمل إلّا بإلحاق الاستدلال بها؛ ذلك أنّ وظيفة علم المعاني هي دراسة مدى مطابقة الكلام أو القول المتلفّظ به لمقتضى الحال فيقوم بتحليل الوظيفة التخاطبية لـ"خواص تراكيب الكلام" من حيث صلتها بقصد المتلفّظ بها .

فمن وظائف علم المعاني، إذن، الاستدلال بما في القول من أدلّة و قرائن على اعتقادات المتكلم ومقاصده من عملية التّخاطب داخل مقام معين و مدى مطابقة تلك التراكيب الموظّفة في ذلك المقام لقصد المتلفّظ بالخطاب «لذلك فإنّ الدّلالة التي يستخرجها البلاغي دلالة أساسها الملازمات بين خواص التّراكيب ومقتضيات الأحوال، فاعتبرناها ناتجة عن استدلال من القول إلى المقام.»<sup>(14)</sup>

ومن هنا تبرز أهميّة علم الاستدلال في علم المعاني من حيث هو آلية إجرائية يستعين بها صاحب علم المعاني في الاستدلال على مقاصد المتلفّظ بالخطاب، استنادا لما تمّ توظيفه في خواص التّراكيب و

مدى تحقّق المطابقة بين صياغات المعاني الموظّفة في تراكيب الكلام مع قصد المتلفظ بالكلام في مقام من المقامات.

ويتجسّد الاستدلال البلاغي في علم المعاني من خلال تتبّع خواص تراكيب الكلام وجعلها مطابقة لمقتضى الحال، تحقيقاً لمبدأ "لكل مقام مقال"، ذلك أنّ هذا التتبع يعني التعليق فيما بين معاني النحو ومعاني الكلام على حسب مقتضى الحال، فيستدلّ بهذه المعاني على غرض المتكلّم من استعمال "خواص التراكيب"، وقصده من إيرادها دون غيرها، على حدّ تعبير السكاكي.

إنّ قيمة الاستدلال تبرز في بحث المعاني الثّواني أو ما سمّاه الجرجاني بـ"معنى المعنى"، انطلاقاً من أصل المعنى؛ فالكلام العادي الذي يؤدّي وظيفة الإخبار في بُعدها اللّغوي الصّرف، دون التّصرّف بالزيادة أو النّقصان في دلالات كلماته اللّغوية، لا يدخل في مجال علم المعاني أو علم البيان، وإنّما يكون مجاله علم النّحو الذي يعنى بالمستوى الأوّل من التّخاطب فقط (مستوى أصل المعنى) (15)، بينما يكون علماً المعاني والبيان ميداناً للدّلالات العقلية وخواص التّراكيب التي يستعين فيها البلاغي بصناعة الاستدلال. وبذلك فمجال علم المعاني هوّ الكلام الاستدلالي الذي يصدر من ذوي التّمييز من البلقاء والفصحاء فيكون مشتملاً على خاصية التّركيب، بعدّها علامة فارقة بين أنواع الخطابات، إذ تقوم على معرفة وفضل إتقان لأصول صناعة الكلام بحسب مقاصد المتكلّمين في المقامات المختلفة، وهوّ ما يتّضح أكثر في تعريف السكاكي لعلم المعاني: «تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام: التراكيب الصّادرة عمّن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلقاء لا الصّادرة عمّن سواهم (...).» وأعني بخاصية التّركيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التّركيب، جارياً مجرى اللّزم له لكونه صادراً عن البليغ» (16)

فخاصية التّركيب التي أشار إليها السكاكي في علم المعاني، هيّ التي تمكّن المتلفّظ بالخطاب في مقام من المقامات وقبل إصداره لخطابه، من مراعاة ما يستدعيه من استلزامات تخاطبية يؤطّرها مقام استدلال معيّن «مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: إنّ زيدا منطلقاً إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به نفي الشك أو ردّ الإنكار أو من تركيب زيدٍ منطلقٍ من أنّه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار، أو من نحو منطلقٍ بترك المسند إليه، من أنّه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار، مع إفادة لطيفة ممّا يلوّح بها مقامها.» (17)

فالمعالجة البلاغية لهاته الأمثلة التي أوردها السكاكي تعكس الطّبيعة الاستدلالية لصاحب علم المعاني، والقائمة على افتراض أنّ كلّ بناء تركيبى مستعمل حامل لدلالات يستلزمها المقام، تعبّر عن قصد المتكلّم، وتكشف اعتقاداته وتصوّراته لمخاطبه حيث تقوم الأمثلة على «أساس ملازمات بين خواص التّراكيب ومقتضيات الأحوال.» (18) فإذا كان القول: - مجرداً من أدوات التأكيد مثل: "زيدٌ منطلقٌ"، فاعلم أنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم والمقام مقام إخبار على الابتداء.

- وإذا كان القول مؤكّدا بأداة واحدة نحو: "إنّ زيدا منطلقاً"، فاعلم أنّ المخاطب شاكٌّ في الحكم ومتردّد بشأنه، والمقام لنفي الشكّ.

- وإذا كان القول من نحو: "منطلقاً" فالمقام مقام اختصار في الكلام للإيجاز أو لدلالة الحال عليه. فيبدو جلياً أنّ هذه الأمثلة الدالة على ضرب الخبر تقوم على استدلالات كثيرة تكشف عن فضل احتياج علم المعاني لتكملة يوقرها له علمي الحدّ والاستدلال، ممّا جعل السكاكي يرخي عنان القلم فيهما. فكان تمام علم المعاني، والبيان شعبة منه، بعلمي الحدّ والاستدلال.

ب- علاقة الاستدلال بعلم البيان: للاستدلال عند السكاكي علاقة وطيدة بعلم البيان، حيث يرى أنّ الاستدلال مكافئ لعلم البيان من حيث آليات التحليل واشتراكهما في فكرة "اللزوم" فركّز السكاكي في مبحث الاستدلال على فكرة اللزوم من أجل إثبات دعواه بأنّ «من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، ووقف على كنيّة مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كنيّة نظم الدليل». (19) ممّا يعني أنّ صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، يسلك في تحقيقه لقصد (متوخّاه)، مسلك صاحب الاستدلال، وهو ما وضّحه السكاكي بعد أن قدّم فذلك في علم المنطق مبيناً أنّ عمل البلاغي لا يختلف عن عمل صاحب الاستدلال، بخاصّة في انتهائهما عند آليّة واحدة هي "اللزوم"، يقول السكاكي: «وهذا أو أن ننثي عنان القلم إلى تحقيق ما عساك تنتظر منذ افتتحنا الكلام في هذه التكملة أن نحقّقه، أو علّ صبرك قد عيل له، وهو أن صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، كيف يسلك في شأن متوخّاه مسلك صاحب الاستدلال وأنتي يعيشو أحدهما إلى نار الآخر، والجد وتحقيق المرام مظنة هذا، والهزل وتلفيق الكلام مظنة هذا، فنقول وبالله الحول والقوة، أليس قد تلي عليك: أنّ صور الاستدلال أربع لا مزيد عليهنّ، وأنّ الأولى هي التي تستبدّ بالنفس وأنّ ما عداها تستمدّ منها بالارتداد إليها، فقل لي أن كانت التلاوة أفادت شيئاً؟ هل هو غير المصير إلى ضروب أربعة؟ بل إلى اثنتين؟ محصولهما إذا أنت وقّيت النظر إلى المطلوب حقّه، إلزام شئ يستلزم شيئاً، فيتوصّل بذلك إلى الإثبات أو يعاند شيئاً فيتوصّل بذلك إلى النقي (...). ثمّ إذا كان حاصل الاستدلال، عند رفع الحجب، هو ما أنت تشاهد بنور البصيرة، فوحقّك إذا شبّهت قائلاً: خدّها وردة، تصنع شيئاً سوى أن تلزم الخدّ ما تعرفه يستلزم الحمرة الصافية فيتوصل بذلك إلى وصف الخدّ بها.

أو هل إذا كنيّت قائلاً: فلان جمّ الرماد، تثبت شيئاً غير أن تثبت لفلان كثرة الرماد المستتعبة للقرى، توصل بذلك إلى اتّصاف فلان بالمضيافية عند سامعك أو هل إذا استعرت قائلاً: في الحمّام أسد، تريد أن تبرز من هو في الحمّام، في معرض من سداه ولحمته شدّة البطش، وجراءة المقدم مع كمال الهيئة، فاعلا ذلك ليتمّ فلان بهاتيك السمات؟» (20)

يكشف هذا النصّ بوضوح علاقة البلاغة بالاستدلال، ويكشف عن مرامي السكاكي من توظيف هذا الأخير في فصل خاصّ بالبلاغة، حيث يؤكّد فيه السكاكي نقطتين مهمّتين:

– تساوي عمل البلاغي بخاصة في علم البيان بعمل صاحب الاستدلال، والتقاءهما في نهاية التحليل عند آية واحدة هي "اللزوم".

– بيان ضرورة إتقان البلاغي لصناعة الاستدلال من أجل تجاوز مستوى "أصل المعنى" والانتقال إلى المعاني الثواني، والتي تكون مجالاً للتنافس والتفاضل بين الأدباء و المبدعين.

فإذا كان علم البيان يقوم على فكرة الملازمات بين المعاني وكيفية الانتقال من مدلول الألفاظ، إلى مدلول مدلولها، بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه بحكم العقل أو بحكم الاعتقاد، فلا تخرج آليات إجرائه عن الانتقال من اللازم إلى الملزوم (المجاز) أو من الملزوم إلى اللازم (الكنائية)، في مقامات محدّدة، فإنّ الاستدلال في أبسط تعريفاته هو «تقرير الدليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر (...) أو بالعكس أو من أحد الأثرين إلى الآخر»<sup>(21)</sup>، بمعنى أنه طلب الدليل وبناء لنظمه، بما يضمن تحقيق قصد المتكلم، والغرض المنوط به إقناعاً وتأثيراً، و لذلك نجد السكاكي يتحدث عمّا يسميه الكلام الاستدلالي «الذي يفيد نظم الكلام وبناءه من لدن البلاغيين وأصحاب البيان على أساس يتضمّن في تراكيبه أدلته الخاصة التي يتوصّل بها إلى التأثير والإقناع بطريقة فنية جمالية قد تكون ظاهرة حيناً و مضمرة في كثير من الأحيان لأسباب و مقاصد متعدّدة ترتبط بالمقام والسّياق والمقتضيات المرافقة لتزليل الخطاب و تداوله وأحوال تلقيه، كما ترتبط بأوجه العلاقات الإسنادية بين الألفاظ و العبارات التي يتشكل منها الخطاب.»<sup>(22)</sup> وهي كلّها قضايا عني بها السكاكي كثيراً في مفتاحه جعلته من رواد الاتجاه الوظيفي و التداولي في التراث العربي الأصيل.

فعمل صاحب الاستدلال وعمل صاحب البيان يشتركان في وظيفتهما الخاصة وفي آليات التحليل وينتهيان عند فكرة واحدة هي اللزوم، فإذا كان الاستدلال عند السكاكي هو «اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بوساطة تركيب جمل»؛ أي عملية استنتاج واستلزام على مجهول انطلاقاً من قولين، فإنّ البيان لا ينفصل عنه ما دام «إلزام شيء يستلزم شيئاً آخر، فيتوصّل بذلك إلى الإثبات أو يعاند شيئاً فيتوصّل بذلك إلى النفي.»<sup>(23)</sup>

وبعبارة أخرى فإنّ صاحب البيان لا يسلك في وجوه البيان (التشبيه والكنائية والاستعارة) إلاّ مسلكاً من مسالك الاستدلال كما بيّن السكاكي في نصّه السابق، إضافة لما تحويه من أبعاد حجاجية تهدف إلى تغيير منظور الواقع والتأثير في المتلقي من خلال ذلك، وبما أنّ موضوع علم البيان يتحقّق في الدلالات العقلية (الاستلزامية) التي تتجاوز الدلالات الوضعية فليست مجالاً للصنعة الفنية، فقد أصبح علم البيان مجالاً مفضّلاً لتطبيق البنية اللزومية التي أرجع إليها السكاكي جميع صور الاستدلال يقول: «صور الاستدلال أربع لا مزيد عليهنّ وأنّ الأولى هي التي تستبدّ بالنفس، وأنّ ما عداها تستمدّ منها بالارتداد إليها، فقل لي إن كانت التلاوة أفادت شيئاً؟ هل هو غير المصير إلى ضروب أربعة؟ بل إلى اثنين؟ محصولهما إذا أنت وقّيت النظر إلى المطلوب حقّه، إلزام شيء يستلزم شيئاً، فيتوصّل بذلك إلى الإثبات أو يعاند شيئاً فيتوصّل بذلك إلى النفي.»<sup>(24)</sup>

ومن خلال هذه البنية اللزومية استطاع السكاكي إبراز الملازمات بين المعاني في المجاز والكناية والتشبيه والاستعارة وتأكيد قيام علم البيان على آلية استدلالية تتقاطع مع عمل صاحب الاستدلال، بل وتعتمد عليه في الانتقال من اللازم إلى الملزوم أو العكس فنصّ السكاكي السابق يقدّم أمثلة عن ذلك كالآتي: (25)

- في مثال التشبيه، إذا قلنا: "خدها وردة" لسنا نضع سوى أن نلزم الخدّ بالوردة التي تستلزم الحمرة الصافية، فنستدلّ بذلك أنّ الخدّ ذو حمرة صافية، فوجه الشبه هذا عقلي يستخلص بالاستدلال.

خدها وردة يشبه خدها حمرة الورد  
ملزوم لانزم الملزوم لازم. ←  
خدها أحمر صافي.

- وفي مثال الاستعارة: "في الحمّام أسد"، نجد إبرازاً لمن في الحمّام في صورة الأسد في الشجاعة والجرأة والإقدام، فنستدلّ بذلك على أنّ في الحمّام رجلاً جريئاً ومقداماً ووجه الشبه الذي استعيرت من أجله لفظة أسد عقلي يستخلص بالاستدلال.

في الحمّام أسد من في الحمّام يشبه الأسد في الإقدام والجرأة في الحمّام مقدام.  
ملزوم لانزم الملزوم لازم. ←

- وفي مثال الكناية: "فلان جمّ الرماد"، نجد إثباتاً وإلزماً لفلان بكثرة الرماد فنستدلّ بذلك على الكرم، بعلاقات استدلالية كثيرة (لوازم متعدّدة) كالآتي:

فلان جمّ الرماد فلان كثير إحراق الحطب فلان كثير الطهي فلان كثير  
الضيوف فلان كريم. ←

ولا يكفي السكاكي بعرض الآلية الاستدلالية في علم البيان هنا فقط، بل يضرب أمثلة حتى في عناد الشيء الذي يتوصّل به إلى النقي، مبيّناً اشتراك الأساليب البيانية العربية مع الأساليب الاستدلالية المنطقية في البنية اللزومية، يقول: «هل تسلك إذا رمت سلب ما تقدّم فقلت: خدها باذنجانة سوداء، أو قلت قدر فلان بيضاء، أو قلت في الحمّام فراشة، مسلماً غير إلزام المعاند بدل المستلزم ليتخذ ذريعة إلى السلب هنالك.» (26)

فالمثال الأول "خدها باذنجانة سوداء"، فيه إلزام للخدّ بالباذنجانة التي تستلزم السواد، فنستدلّ بذلك على سواد الوجه، ووجه الشبه هنا أيضاً عقلي يستخلص بالاستدلال، والأمر نفسه في المثالين الثاني والثالث حيث يستدلّ بهما أنّ فلاناً بخيل وأنّ في الحمّام جبان على التوالي.

يروم السكاكي من خلال إدراجه هذه الأمثلة تأكيد حقيقة معينة هي أنّ مفهوم البيان لا يخرج في آلياته التحليلية عن دائرة الاستدلال لكونه يقوم على دعوى تثبت أمراً أو تنفيه (وظيفة استدلالية حاجية) والعكس صحيح، فالاستدلال «ليس عملية عقلية استنباطية محضة بل عملية خطابية (...)» لذلك قد لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة وبشكل أعم عن دائرة المجاز. (27)

وهو ما جعل السكاكي يرى أنّ من أتقن أصلا واحدا من أصول البيان (وجوهه) أطلعته ذلك على كيفية نظم الدليل. ومن هنا تتبع حاجة البليغ إلى إتقان صناعة الاستدلال التي تمكّنه من تجاوز مستوى أصل المعنى بدلالاته الوضعية والانتقال للدلالات العقلية الاستلزامية موضوع علم البيان.

فما قصد إليه السكاكي إذن لم يكن إقحاما للمنطق في البلاغة العربية كيفما كان وإنما أراد كما يقول الباحث "محمد عابد الجابري" « أن يبيّن كيف أنّ الأساليب البيانية العربية والأساليب الاستدلالية المنطقية تلتقي في نهاية التحليل عند آلية منطقية واحدة هي اللزوم. »<sup>(28)</sup> هذا من جهة و من جهة أخرى أراد « إبراز هذه المطابقة بين الأساليب الاستدلالية المنطقية غير شيء واحد، و هو ما يفرضه عليه انتماؤه الكامل للحقل البياني العربي وصدوره عن نظامه العرفي في تفكيره و رؤاه : أعني بذلك إبراز استقلالية هذا الحقل واستغنائه عن الأخذ من الغير. »<sup>(29)</sup>

فلأساليب البيانية العربية طبيعة استدلالية تمنحها بعدا حجاجيا يعمل على تغيير منظور المتلقي و توجيهه إلى مستوى ثان من الدلالات (استلزامية) بغرض التأثير في المتلقي وإقناعه بصورة فنية تكون مجالا للتنافس و التفاضل بين المبدعين والأدباء، و هو عمل لا يمكن للصورة البيانية أن تحفظه ما لم تسند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقليا وهذه الأدوات هي ما يوفره لها الاستدلال، و يمنحها إثر ذلك بعدا حجاجيا يمكن المتلفظ بها من فرض رأيه وموضوعه من أجل كسب تأييد الآخر و التأثير فيه بصورة فنية يقبلها المتلقي للخطاب و يتفاعل معها.

يتّضح إذن في هذا المبحث أنّ البلاغة العربية تقوم على تصوّر استدلالّي يتجلى في مباحثها المختلفة في علمي المعاني والبيان، فإذا « تحققت أنّ علم المعاني والبيان هو: معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني، ليُتوصّل بها إلى توفية مقامات الكلام حقّها بحسب ما يفرضه به قوّة ذكائك، وعندك علم أنّ مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها، علمت أنّ تتبّع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصّها ممّا يلزم صاحب علم المعاني والبيان. »<sup>(30)</sup>

ومن هذه الزاوية يظهر أنّ السكاكي له قدرة فائقة على المزج بين علم العربية (البلاغة) وعلوم المنطق والفلسفة؛ فيستعين بأدوات في النظر والبحث من خارج البلاغة لبيّن بها الطبيعة الاستدلالية للبلاغة العربية من جهة وحاجة الأخيرة لعلم الاستدلال في إجراءاتها التحليلية و من هنا، « فلا يمكن الحديث عن إدخال أعشاب ضارة أو نافعة إلى حديقة البلاغة، و إنّما هو منطق المنظومات العلمية و تطورها المعرفي. »<sup>(31)</sup> ولعلّ هذا ما يجعل العلاقة بين البلاغة العربية والكلام الاستدلالي علاقة جزء بكل، حيث إنّ معرفة خواص تراكيب الكلام الاستدلالي، جزء من معرفة خواص تراكيب الكلام بعامّة<sup>(32)</sup>، هذا الاستدلال الذي منح البلاغة العربية مظهرها الحجاجي، القائم على استمالة المخاطب والتأثير فيه بغية إقناعه وتحصيل المطلوب من وراء الخطاب.

خاتمة:

أدرك السكاكي بوعيه الحصيف أن البلاغة العربية تقوم على تصوّر استدلاليّ يتجلّى في مباحثها المختلفة في علمي المعاني والبيان، فوظف مبحث الاستدلال ليمنح البلاغة من خلاله البلاغة العربية طابعا علميا يُمكن الدارس من تحقيق كفاءة أدبية بخاصة في عصره الذي فترت فيه الملكات وضعف فيه معين الطبع، وليوضح الآلية الاستدلالية التي تحتويها الأساليب البيانية العربية مثل فكرة "اللزوم"، وقد حاول السكاكي التأكيد على ضرورة إنقاز البلاغي لصناعة الاستدلال من أجل التعبير تجاوز مستوى "أصل المعنى" والانتقال إلى المعاني الثواني، والتي تكون مجالا للتنافس والتفاضل بين الأدباء و المبدعين.

وفي ختام الدراسة يجب الاعتراف بأنّ معالجة السكاكي لمبحث الاستدلال وربطه بالبلاغة العربية اتّسمت بنوع من الجفاف المنطقي والصّرامة، مقارنة بتحليلات الجرجاني "لمعنى المعنى" والاستدلال عليه، ولعلّ هذا ما جلب "لمفتاح العلوم" مؤلّف السكاكي هجوما عنيفا من قبل المحدثين من بلاغيّنا، لكنّ يجب أن يحسب للسكاكي محاولته تجنّب مصطلحات المناطقة قدر المستطاع، بنقل الاستدلال إلى أرضية معنوية استعارية أو تركيبية في عصر شهدا تأثرا بالدراسات الفلسفية والمنطقية.

### هوامش البحث:

- (1) السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2000، ص37.
- (2) مجدي بن صوف: علم الأدب عند السكاكي بحث في انتظام التصورات اللسانية، علم الأدب عند السكاكي بحث في انتظام التصورات اللسانية، المعهد العالي للدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية، تونس، دار مسكلياني للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2010، ص285.
- (3) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص543.
- (4) نفسه، ص466.
- (5) نفسه، ص525.
- (6) نفسه، ص470.
- (7) نفسه، ص545.
- (8) ينظر: شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، تونس، ط1، 2006م، ص58.
- (9) ينظر: عبد القادر حمدي: البلاغة والاستدلال عند السكاكي، (<http://www.hamdigu.jeeran.com>)، 2010/10/22، على الساعة: 21:20)، وينظر: باديس لهويلم، الاستدلال في مفتاح العلوم والطرح التداولي للخطاب، ضمن كتاب "البلاغة العربية والمقاربات النقدية المعاصرة الآفاق والعلاقات والوظائف، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، 2016.
- (10) مفتاح العلوم، ص545.
- (11) محمّد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط2، 1987، ص100.
- (12) نفسه، ص100.
- (13) مفتاح العلوم، 542، 543.

- (14) شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، ص 121.
- (15) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 125.
- (16) المصدر نفسه، ص 247، 248.
- (17) نفسه، ص 248.
- (18) شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، ص 104.
- (19) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 544.
- (20) المصدر نفسه، ص 607، 608. أوردت هذا النص برغم طوله لنفاسته في كشف موقف السكاكي من علاقة الاستدلال بالبلاغة ككل لا البيان فقط، ولأنه سيكون مدارا للبحث في هذا الجزء.
- (21) الجرجاني: التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (دط)، 1985، ص 17.
- (22) عبد القادر حمدي: البلاغة والاستدلال عند السكاكي، ص 2.
- (23) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 608.
- (24) المصدر نفسه، ص 608.
- (25) ينظر: نفسه، ص 608؛ وشكري المبخوت، ص 116، 117. وباديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014.
- (26) مفتاح العلوم، ص 608.
- (27) حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ص 24؛ وينظر المقال نفسه في: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، الجزء 3، 2010، ص 62.
- (28) محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص 101.
- (29) المرجع نفسه.
- (30) شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، ص 104.
- (31) السكاكي مفتاح العلوم، ص 542، 543.
- (32) حيث يرى السكاكي أن «مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزءا واحدا من جملتها، وشعبة فردة من دوحتها». مفتاح العلوم، ص 543.

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- باديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014.
- 2- الاستدلال في مفتاح العلوم والطرح التداولي للخطاب، ضمن كتاب "البلاغة العربية والمقاربات النقدية المعاصرة الآفاق والعلاقات والوظائف، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، 2016.
- 3- الجرجاني: التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (دط).
- 4- حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ص 24؛ وينظر المقال نفسه في: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، الجزء 3، 2010.
- 5- السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000.

- 
- 6- عبد القادر حمدي: البلاغة والاستدلال عند السكاكي، (<http://www.hamdigu.jeeran.com> 22/10/2010)، على الساعة: 20:21)،
- 7- شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، تونس، ط1، 2006م.
- 8- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان، ط2، 1987.
- 9- مجدي بن صوف: علم الأدب عند السكاكي بحث في انتظام التصورات اللسانية، المعهد العالي للدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية، تونس، دار مسكلياني للطباعة والنشر، تونس ، ط1، 2010.